مقدمة التحقيق

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين أنزل القرآن الكريم على محمد رسول الله لإصلاح حال الخلق والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. وعلى صحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فإن إصطلاح علم الكلام قد أطلق على نظام خاص من الفكر. قام بين المسلمين قبل الترجمة وسابقا على وجود الفلسفة وأسسها.

وأصحاب هذا الفن كانوا يسمون متكلمين في مقابلة نوع آخر من المفكرين الذى ابتدأوا بالكندي وعرفوا باسم الفلاسفة.

فاصطلاح علم الكلام ظهر بين المسلمين على وجه طبيعى حين ثار الجدال بين المسلمين حول مسائل العقيدة.

وينبغى أن يدرك: أن هناك فارقا بين الإسلام وبين الفكر الإسلامي. فالإسلام هو دين الله تعالى المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - صلوات الله وسلامه عليه - أما الفكر الإسلامى فهو العمل العقلى للمسلمين في فهم ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة الرسول ﷺ.

ومن ثم فإن الإسلام يعتمد على وحى معصوم لا اختلاف ولا تناقض فيه. أما الفكر الإسلامى. فهو يمكن أن يقع فيه الاختلاف حسب اجتهادات المجتهدين ومستوياتهم الفكرية.

وإن الباحث في تطور الفكر الإسلامى الذى يمثل العمل العقلى للمسلمين. يجد أن هذا الفكر قد مر في مرحلتين:

المرحلة الأولى: كانت في ظهور نظام موحد من الاعتقاد. مأخوذ من تعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية وقد حكمت المرحلة الأولى بأناس كان همهم الاقتداء برسول الله ﷺ ونشر الإسلام في الأرض.

والمرحلة الثانية: كانت في ظهور ما دار حول مسائل اعتقادية انتزعها العقل الإنسانى من واقع ملئ بالتساؤلات.

وإذا كان هناك فرق بين الإسلام القائم على الكتاب والسنة وبين الفكر الإسلامى الذى هو العمل العقلى للمسلمين فى فهم ما جاء فى الكتاب والسنة فإن الأمر يقتضى أن نعرف: أن الإسلام يتكون من نوعين من التكاليف:

- التكاليف البدنية.

- والتكاليف القلبية.

والتكاليف البدنية تتكون من التشريعات الإلهية التى تحكم جميع أفعال المسلمين، والعلم الذى يتناولها هو الفقه. ولهذا كان الفقه معرفة أفعال الله في المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة. وهى متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة..

أما التكاليف القلبية: فهى العقائد التى تقررت في الدين والتصديق بها في القلوب والاعتقاد في الأنفس مع الإقرار بالألسنة. وهذه هى العقائد الإيمانية المقررة في علم الكلام.

فعلم الكلام يعنى بالإلهيات. والنقاش في هذا العلم هو الذي كون علم الكلام وإذا كان الأمر - كما ذكرنا - فإن الفرق بين الإسلام القائم على الكتاب والسنة وبين الفكر الإسلامى القائم على العمل العقلى ينتهى إلى علاقة وطيدة الصلة. صنع هذه العلاقة النقاش الذى دار حول العقائد الإيمانية.

لقد اتخذ الكلام معنى اصطلاحيا، وتفرد بمنتج عقلى خاص. استهدف الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية.

وسميت الأقوال التى تصاغ كتابة أو شفاهًا على نمط منطقى أو جدلى «كلامًا» ولا سيما تلك التى تعالج المسائل الاعتقادية.

وعلم الكلام هو العلم بأحكام الألوهية وإرسال الرسل. صدقها في

إخبارها وما يتوقف شئ من ذلك عليه، خاصًا به، وتقريرًا أدلتها. وهى مظنة لرد الشبهات وحل الشكوك.

وعضد الدين الايجى يرى: أن علم الكلام علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية. بإيراد الحجج ودفع الشبه.

وابن خلدون يذكر أن علم الكلام علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعين المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة.

وطاش كبرى زاده والتهانوى. يقولان عن علم الكلام: علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها.

ومن هذا كله يمكن استنتاج جملة أمور هى:

أولا: أن علم الكلام يأخذ بمنهج البحث والنظر والاستدلال العقلى كوسيلة لإثبات العقائد الدينية التى تثبت بالوحى ولهذا فهو يعرف أحيانا بعلم النظر والاستدلال.

ثانيا: إن وظيفة علم الكلام. إنما هى دفع الشبه ورد الخصوم والاحتجاج العقلى على صحة العقائد الإيمانية.

ثالثا: ومن العلماء من يرى أن لعلم الكلام وظيفتين مزدوجتين هما:

أولاً: إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية. وثانيا: دفع الشبه ورد الخصوم عنها.

وعلم الكلام نشأ من أحوال البيئة الإسلامية نفسها. فهو من هذه الناحية نتاج البيئة الإسلامية وحدها. ويبدو أن هذه الأحوال الإسلامية كانت منبعثة من الفضول العقلى، ومن محاولة اقناع غير المسلمين في أول الأمر بعقائد الإسلام.

فعلم الكلام لم ينشأ رغبة من المتكلمين في الجدال والمراء. وإنما نشأ

دفاعًا عن الدين، ودرءًا للخطر الذي كاد يزلزل قضايا الإسلام والمسلمين من نفوس المسلمين.

ولا يخفى: أن كثيرين ممن دخلوا الإسلام بعد الفتح كانوا من ديانات مختلفة. وقد أظهروا دياناتهم القديمة في ثوب دينهم الجديد.

ولما انتهى المسلمون من الفتح الإسلامى أخذت تظهر أفكار مجانبة للصواب من أصحاب الديانات القديمة. مما أحدث اضطرابا وقلقًا، ووسط هذا الاضطراب الفكرى، والمبادئ التى كونتها كل فرقة لنفسها قام جماعة من المخلصين يشرحون عقائد المسلمين ومن هؤلاء القاضى عبد الجبار.

ومما ينبغى أن يدرك: أنه في خضم الآراء المتعارضة حول النبوة وصلتها بالعقل. تصدى القاضى عبد الجبار للرد على المنكرين في كتابه: تثبيت دلائل النبوة. فكان بحق علمًا وعالمًا.

وكتاب: «تثبيت دلائل النبوة» من الكتب الجليلة التى تفتح آفاقًا واسعة أمام الباحثين والدارسين. لا يستغنى عنه أى عاقل يريد أن يتوغل في الدلائل والأغوار.

والناس في عصرنا الحاضر في أمس الحاجة إلى هذه الكتب التى تطهر الإنسان من الجمود والخمود، وتبعث به إلى العقلانية الواعية.

المحققان

أ.د أحمد عبد الرحيم السايح المستشار/ توفيق على وهبة